قصة الكاتب

الشاعر الانكليزي كولريدج

بقلم بدر توفيق

يعتبر الشاعر الانكليزي صامويل تيلور كولريدج واحدا من كبار رواد الحركة الرومانتيكية في تاريخ الشعر الانكليزي (١٧٨٩ — ١٨٣٠) . ولد سنة ١٧٧٢ في قرية بمقاطعة ديفون بانكلترا حيث كان أبوه يعمل ناظرا لمدرسة القرية وقسا لكنيستها الصغيرة .

كان كولريدج في طفولته منطويا على نفسه متأملا مفكرا حالما ، وكان باعتباره أصغر الابناء وأبرزهم ذكاء . أكثرهم قربا لقلب أبيه الذي مات عندما كان صامويل في عامه التاسع ، وفي العاشرة ذهب الى لندن حيث أتم دراسته التي أهلته للالتحاق بجامعة كمبريدج لدراسة اللاهوت ، وقد شملت الدراسة أيضا الرياضة والادب الكلاسيكي ، وعرف كولريدج في تلك الفترة بالقراءة المتسعة وحب النقاش والجدل ، فكانت غرفته بالكلية منتدى للاصدقاء . ومما هو معروف عنه أيضا — في تلك الفترة الاوربية المشغولة بالثورة الفرنسية — معارضته لفكرة اعلان انكلترا الحرب ضد فرنسا .

لم يكد ينقضي عامان على التحاق كولريدج بالجامعة حتى هجرها ورحل الى لندن حيث اضطره العوز للالتحاق بالجيش الذي خدم به جنديا لاربعة شهور لم تغنه ولم تفقده شيئا ، وبعد عناء بالغ وافقت السلطة على تسريحه من الجيش . فعاد الى الجامعة . وفي صيف نفس العام ١٧٩٤ سافر كولريدج الى اكسفورد حيث تعرف على الشاعر « روبرت صذي » الذي كان بدرس بجامعتها ، وكانت لهذه المقابلة آثار حاسمة وعميقة في حياة كولريدج ، فقد كان « صذي » سببا مباشرا في تعرف كولريدج على (سارا فريكر) أخت خطيبته التي تزوجها كولريدج فيما بعد وأنجب منهما ولدين وبنتا . وبصحبة صذي توصل كولريدج الى فكرة البانتيسقراطية ، فأجمعا الرأي بذلك على تحقيق حلمهما باعتزال المجتمع والحياة من أجل الانتاج الادبي فقط بمكان ناء في أمريكا . وقد تجمع حول صذي وكولريدج مجموعة من الاصدقاء تضم اثني عشر رجلا وزوجاتهم ، قرروا اقامة مدينة فاضلة يعمل الرجال فيها بالزراعة بضع ساعات يوميا ؛ ويخصص الوقت بعد ذلك للدراسة والمناقشات وتعليم الابناء وتحقيق مجتمع مثالي قائم على انعدام الملكية الفردية والمساواة وتقديس حرية الفكر والعقيدة والرأي .

وهكذا هجر كولريدج الجامعة للمرة الثانية لتحقيق فكرته ، وبدأ يجمع المال اللازم للسفر ، ولكن حماسه بدأ يتناقص بعدما تبين انحراف صذي عن قواعد البانتيسقراطية عندما أراد اصطحاب أمه وخادمه ، ثم فشل المشروع وتفرق الاصدقاء .

التقى كولريدج في أعقاب تلك الفترة بالشاعر وليم وردزورث . وفي عام ١٧٩٨ أصدرا معا ديوانهما الاول بعنوان « قصائد غنائية وقصصية » . وقد كانت لهذا الديوان أهمية كبرى في تطور ونمو الشعر الانكليزي بعدهما . وفي العام نفسه رحل كولريدج بصحبة وردزورث وشقيقته الى المانيا حيث التحق بجامعة جوتنجن ليتعلم الالمانية ويستمع لمحاضرات الفسيولوجي . كما قرأ في ذلك الوقت أعمال الفيلسوف الالماني (كانط) ، ثم عاد لانكلترا سنة ١٧٩٩ مثقلا بالديون حيث اتجه لدراسة الفلسفة وبوجه خاص سبينوزا (١٦٣٢ — ١٦٧٧) .

عندما بلغ كولريدج نبأ مرض وردزورث ، اتجه الى منطقة البحيرات بشمال انكلترا لزيارته حيث التقى هناك بشقيقة خطيبته (سارا هتشنسون) ، وكانت فتاة مثقفة ، محبة للشعر ، أحبها كولريدج بجماع قلبه ، وبذلك امتدت فترة اقامته في منطقة البحيرات ذات المناخ الرطب الذي لم يكن ملائما لما يعانيه من آلام الروماتيزم ، فساءت حالته الصحية في نهاية عام ١٨٠٠ ، وتورمت أصابعه وركبتاه ، وتشوه جسمه وتضخم ، فلجأ الى الافيون لتسكين آلامه المتزايدة حتى صار الى حالة من الادمان تثير الانزعاج ، لكنه رغم كل شيء كان يحس ويرى عالما كاملا من الخيال الساحر بتأثير الافيون ، الذي أسرع الخطى بصحة كولريدج نحو التدهور ، مما جعله في سنة ١٨٠٤ يرحل الى جزيرة (مالطا) ملتمسا الدفء ، حيث قضى عاما ، ثم عاما ونصف العام في طريق العودة المرتبك بالحرب من ايطاليا الى انكلترا . حول ذلك الوقت كان الشعر قد هجر كولريدج ، وكان كولريدج قد كرس نفسه لسلسلة من

المحاضرات العامة عن الشعراء الانكليز وعن المسرح ، وأصدر مجلة بعنوان « الصديق » لم تنتظم لاكثر من عام واحد . واشتغل فترة من الوقت معلقا سياسيا باحدى الجرائد .

وفي عام ١٨١٦ ساءت حالة كولريدج ، فعرض نفسه على طبيب أحاله الى طبيب آخر يدعى (جلمان) ، وقد أحبه هذا الطبيب منذ الوهلة الاولى ، فاستقر بذلك مقام كولريدج تحت الرعاية الطبية في منزل جلمان حتى توفي عام ١٨٣٤ ، وقد اتضح بعد ذلك ان سبب الالم الذي أصابه حتى الموت كان مرض التضخم في القلب .

هذه بايجاز شديد قصة حياة وموت كولريدج ، الذي قال عنه صديقه الحميم تشارلس لام : « لم أر شبيها له أبدا ، ولا يحتمل أن يرى العالم مثله مرة ثانية » .

كتب كولريدج قصائده بين السادسة عشرة والثلاثين من عمره ، وجميعها تشير صراحة الى تجربته الشعرية وموقفه من الفن والحياة . من أعلى تلك القصائد شأنا رائعته المتفردة « البحار العجوز » ، أما قصيدته « الكآبة » ، التي كتبها عام ١٨٠٢ ، فان عنوانها يعطينا على الفور انطباعا واضحا يساعدنا على التعامل مع الرموز التي يستخدمها خلال قصيدته ، والتي تصور مناخه العقلي ، وتشكل دلالتها بالنسبة له نوعا من التأريخ لصعوده الى سماء الشعر وهبوطه الى أرض النثر .

والقمر ، في شعر كولريدج ، واحد من أقوى الرموز وأكثرها اشارة ، وايحاء ، واظهارا لصراعاته النفسية ، ولقد كان القمر في قصيدة « الكآبة » هو البركان المقدس الذي أضرم نيران اللوعة والتأمل والاحزان الغلابة في وجدان الشاعر ، فقد أثارت رؤيته تذكار مقطع شعر من قصيدة قصصية لواحد من الشعراء الجوالين القدماء عن (السير باتريك سبنس) في الليلة التي كتب فيها هذه القصيدة ، فنراه وقد وضع ذلك المقطع في المقدمة قبل أن يضع الرقم (١) مبتدئا بعده أول سطر من سطور « الكآبة » .

أما « قيثارة الريح » فهي من الرموز ذات الدلالة الهامة في الوجدان الرومانتيكي عامة ، لانها تجسد العلاقة الغامضة بين الشاعر والحياة ، فهذه الآلة الموسيقية الوترية ، يشيع تعليقها خارج شرفة المنزل الانكليزي ، حتى اذا لامسها الهواء أو هبت عليها الريح صدرت عنها أنغام مختلفة بقدر اتجاه الهواء وسرعته ، وتتضح هذه العلاقة في قول الشاعر « شلي » المعاصر لكولريدج : « ان الانسان أداة تساق اليها سلسلة من المؤثرات الخارجية والداخلية كتبدلات ريح دائمة التغير على قيثارة هوائية تدفعها بحركتها الى نغم دائم التحول.

ان قيثارة الريح هي الشاعر ، والقصيدة هي النغم الموسيقي المتآلف الناتج من تأرجحات العناصر الخارجية والداخلية لكل من الريح المتغيرة وتكوين الاوتار وتوترها » . فاذا انتقلنا بهذا الايضاح الى قصيدة كولريدج ، استطعنا أن نتبين العلاقة الخفية الحميمة بين الشاعر في اشارته لنفسه وتعبيره عنها باستعارة صورة العلاقة بين الريح والقيثارة ، ثم أزمته الفنية الخاصة وهي اضمحلال قدرته على التخيل التي يعتبرها ينبوع الشعر الرئيسي . ويدخل بنا كولريدج الى صميم مشكلته باعادة تقديم الصورة الشعرية القديمة فيحكاية (السير باتريك سبنس) ، حيث يظهر القمر القديم واقعا مرئيا قاسيا في حضن القمر الجديد ، انها صورة تثير التشاؤم حقا تلك التي يظهر فيها القمر الجديد أو الوليد الواعد ، وبين ذراعيه القمر القديم أو التالف المستهلك :

في ساعة متأخرة من الليل
في آخر الليلة الماضية
رأيت القمر الوليد
يحتضن القمر البائد بين ذراعيه
ولهذا .. أيها الربان العزيز
لشد ما أخشى
تلك الانواء والعواصف القاتلة
في أعالي البحار
التي ينتظر أن نلقاها

أن هذا الالتحام الوثيق بين القمرين ، يعكس لنا ذلك التناقض المرير في عالم الشاعر الباطني والذي يتشكل منه صلب موضوع قصيدة « الكآبة » ، وبذلك يضعنا كولريدج داخل واقعه الذي يعانيه ، وهل هناك الشاعر مصيبة أفدح من فقده قدرة الخلق والابداع ؟ ذلك هو ما أصاب الشاعرين الكبيرين كولريدج ووردزورث في تلك الفترة من حياتهما . وبينما استطاع وردزورث أن يصمد للازمة لما كان يتمتع به من قدرة على التماسك ومواجهة الصعاب ، نجد صاحبه كولريدج ينهار الى حد كبير تحت هذه الوطأة ، فقد كان شديد الحساسية بالاضافة الى ما ساقته اليه ظروف حياته من زواج فاشل لا مفر منه ، وحب جياش لسارا هتشنسون ، التي كان بامكانها تغيير مقادير كولريدج تماما لو انهما تزوجا .

وقد تشكلت قصيدة « الكآبة » من سطور رسالة شعرية طويلة (٣٤٠ سطرا) أرسلها كولريدج الى سارا هتشنسون ، أما النص الذي اختاره الشاعر فيقع في ١٣٩ سطرا فقط . وينقسم الى ثمانية أجزاء يسبقها جميعا مقطع شعر قديم من قصيدة قصصية عن السير باتريك سبنس أحد قباطنة البحر الانكليز الذي غرقت سفينته في نهاية المطاف . يوحي كولريدج الينا بذلك

ان سفينة حياته تتجه أيضا الى النهاية الفاجعة نفسها ، فها هو البحار المكلف بمراقبة البحر وأحوال الجو المؤثرة على الملاحة . يتجه الى غرفة القيادة ليخبر ربان السفينة السير باتريك سبنس بما رآه في الليلة الماضية ، وهي مشاهدة تدفعه الى التشاؤم وتوقع العواصف القاتلة ، فلقد رأى القمر الجديد وبين ذراعيه القمر القديم ، فاذا عرفنا ان القمر عند كولريدج يرمز الى روح الخيال الخلاق وان رؤيته في صورة مضمحلة بين ذراعي القمر الجديد تعني موت الخيال المبدع . أدركنا عناية كولريدج الخاصه بوضع هذا المقطع كمقدمة لقصيدته ليبدأ بعد ذلك الجزء الاول منها بالتعليق على ذلك المقطع ، مدخلا القارىء الى عالمه الذي يرمز فيه القمر الى روح الخيال المبدعة ، وترمز فيه قيثارة الريح الى عقل الشاعر ووجدانه ، بينما ترمز الرياح الى مقدرات العالم الخارجي التي يؤثر هبوبها على أوتار القيثارة فتصدر عنها نغمات النفس الشاعرة بكل ما يعتمل فيها من خواطر ورؤى وتأملات . ولكن هذه الصورة في مجموعها تثير الالم الكامن في نفس الشاعر وتجعله ينبض بالحياة كما يقول في الجزء الاول من القصيدة :

ما أخطر هذه النبوءة
فلو كان الشاعر القديم الذي كتب هذه القصيدة
عن السير باتريك سبنس
ممن يستطيعون التنبؤ بتغيرات الطقس
فان هذه الليلة ، رغم الهدوء الذي يبدو عليها ،
لن تنتهي دون أن تهزها الرياح
التي تفرض على البحارة عملا متصلا وجهدا كبيرا
لا تلك الرياح التي تجعل من السحاب البعيد
شرائح كسولة
أو ذلك النسيم المترنح الذي ينشج ويئن
ثم يتجمع على أوتار هذه القيثارة الهوائية
التي يكون صمتها فيهذه الحالة أفضل من صوتها.
من أجل من يا ترى ،
فتنة هذا القمر الشتوي الوليد ،
وقد سبحت أشباح ضوئه .
وانتشرت مؤطرة بدوائر من الخيوط الفضية ؟
اني أرى القمر البائد في حضن القمر الوليد
منبئا عن المطر الآتي
وعن هبوب العاصفة المحملة بالامطار .
أواه من تلك العاصفة التي ما فتئت تحتشد
ومن هطول وابل المطر الليلي
الذي يدوي في اندفاعه السريع
بهذه الاصوات التي طالما أيقظتني وامتلكت وجداني
وطافت بروحي بعيدا عن الوطن
هل تعيد هذه الاصوات الى روحي
نبضها الذي تعودت عليه ؟
وعل تقضي على هذا الالم الغامض في صدري
فتحرك روحي وتبعث فيها الحياة ؟

ويصور الشاعر في الجزء الثاني من القصيدة حزنه الفادح . لقد كان المساء مديدا وصافيا ، والنجوم تسبح خلف السحب الرقيقة أو بينها ، والهلال ثابت في بحيرته الزرقاء ، والشاعر يبصر كل هذا المشهد البديع الخلاب ، لكنه للاسف يبصره فقط ولا يحس كم هو جميل :

حزن عقيم معتم موحش خاو من الالم
حزن مكتوم منوّم بلا عاطفة متقدة
لا يجد منفذا طبيعيا ولا انعتاقا
في كلمة أو تنهيدة أو دمعة .
آه أيتها السيدة
في هذا الجو النفسي الذي يثقل القلب
بالتعب والقنوط
وقد شدني غناء طائر بعيد الى أفكار أخرى
كنت أمعن النظر في الجانب الغربي للسماء
في خبتها النادرة ذات اللون الاصفر الممتزج بالاخضر .
طوال هذا المساء المديد بكل ما فيه من عطر وصفاء
وما زلت أمعن النظر بعين لا أجد مثيلا لخوائها .
هذه السحب الرقيقة في الاعالي وقد انشطرت مزقا وخطوطا
تتجه حركتها بعيدا الى النجوم
تلك النجوم التي تبدو منزلقة من خلفها أو فيما بينها
تلتمع مرة ، ومرة يصيبها الاعتام
لكنها تظل في مدى الرؤية دائما
وعلى البعد يبدو القمر الذي ما زال هلالا
يبدو ثابتا كأنه نما في بحيرة زرقاء
خلت من السحب والنجوم
اني أرى هذه الروعة بأكملها .
اني أراها ، لكنني لا أستطيع أن أسبر أغوار هذا الجمال .

وفي الجزء الثالث ، يتساءل كولريدج – وهو يبحث عن خلاص لذاته المقهورة المكتئبة – تساؤلا يحتوي الجواب في صميم السؤال :

ان قوتي الروحية الخلاقة تخذلني
ولكن ، ما الذي كان بوسعها أن تفعل
لتزيح الحمل المتكاثف من فوق صدري ؟
سوف يكون جهدا عقيما
حتى لو أمعنت النظر الى الابد
في ذلك النور الاخضر الذي يهيم في الغرب :
يجب ألا انسج من الاشكال الخارجية أملا
لأفوز بالحب وبالحياة
لان ينابيعها تكمن في أعماقنا .

وفي الجزء الرابع يعود كولريدج لمخاطبة محبوبته سارا ، في تأملات مريرة يحاصرها الشجن من جميع النواحي :

يا سيدتي نحن لا نتلقى الا ما نهب
وفي حياتنا وحدها تحيا الطبيعة
ان ثياب عرسها هي ثياب عرسنا
واكفانها اكفاننا
فهل ستسمح الطبيعة لنا بشيء نراه
أكبر من هذا العالم البارد الذي لا حياة فيه
والذي أعد للجماهير الفقيرة الدائمة القلق
التي لا تعرف الحب .
آه .. ان الروح ذاتها هي التي يجب أن ينبع فيها
نور ومجد وسحابة جميلة مضيئة
تغلف الارض
فالصوت العذب القوي لا ينبع الا من الريح
فهو وليدها
وهو حياة الاصوات العذبة جميعا وروحها .

هكذا تتضح فاجعة الشاعر التي أسلمته الى الحزن الموحش والاكتئاب العقيم ، لقد ذبلت بداخله روح خياله الخلاق ، فانطفأت الشعلة التي كانت تكشف له الوجود وتجعله يحسّ بما يشاهده في الطبيعة كشاعر وليس كفرد عادي من (الجماهير الفقيرة الدائمة القلق والتي لا تعرف الحب) ، وهي الصورة الوحيدة التي تقدمها الطبيعة لنا اذا خلت نظرتنا الى الاشياء من الروح المبدعة التي تخلق معنى انسانيا للكائنات المختلفة ، وتعطيها أفراحها وانغامها وموسيقاها . وها هو كولريدج يهمس في أذن سارا بكل تلك المعاني في القسم الخامس من القصيدة :

يا ذات القلب الصافي ،
أولست بحاجة الى سؤالي ..
عن سر تلك الموسيقى الاخاذة
التي تستوطن الروح ؟
أولست بحاجة الى سؤالي عن حقيقة هذا الضوء ،
وهذا المجد ،
هذا الغمام البديع المضيء ،
وهذه القوة الجميلة التي تصوغ الجمال ؟
انه الفرح .. أيتها السيدة النقية
انه الفرح الذي لم يحظ به قط أحد
سوى الطاهرين في أنقى ساعات حياتهم
انه الحياة في أنقى ساعاتها
انه الحياة ونعيمها
انه السحابة والمطر معا
فالفرح يا سيدتي هو الروح وهو القدرة
انه مهر الطبيعة لعشاقها
انه أرض جديدة وسماء جديدة
لا يستطيع أن يحلم بها لا الشهواني ولا المتكبر
الفرح هو الصوت العذب
الفرح هو السحابة المضيئة
فنحن عندما نفرح
تتدفق الحياة في أعماقنا بكل ما يسحر السمع والنظر
فتصبح كل الانغام الشجية أصداء لصوت الفرح
وتصير كل الالوان اشتقاقا من ذلك النور

وينتقل كولريدج في الجزء السادس الى مناجاة عذبة موحشة يعرض فيها انتقاله من حالته الاولى التي كان يعيش فيها بروح الخيال المبدعة ، ذلك السر الذي يمنحه الله الشعراء منذ مولدهم ، الى الحالة الراهنة بعد أن حنت الآلام رأسه الى الارض . وتنتهي هذه المناجاة نهاية خافتة يائسة تعيسة :

لقد عشت حينا من الدهر
كنت فيه ـ رغم مصاعب الطريق ـ
أستخف بالبؤس والتعاسة
حتى كنت أتخذ من سوء الحظ وعثرات الطريق
مادة أقيم منها بخيالي حلم سعادتي
لان الامل وقتئذ كان ينمو حولي كالكرمة الملتفة
كما كانت الثمار والاوراق
تبدو ملك يميني وان لم تكن ملكي
أما الآن ، فان الاحزان تحني رأسي الى الارض
ليس المرح السليب هو ما يهمني أمره الآن
فكل زيارة من هذه الاحزان
تشلّ جميع ما منحتنيه الطبيعة عند مولدي
تشلّ روح خيالي الخلاقة
فهل أقوى على عدم التفكير في مشاعري
وأن يكون الصبر والسكوت هو الشيء الوحيد المستطاع
حتى أتمكن يوما بالبحث المبهم الشاق ،
ان أسرق من طبيعتي الخاصة جوهر انسانها الطبيعي ؟
لقد كان هذا ملتجئي الوحيد ،
وخطتي التي لم أجد سواها
حتى تصيب الكل عدوى ما يلائم الجزء
وهذا في اعتقادي هو ما اشتد عوده ونما
حتى كاد أن يصبح للنفس عادة وطبيعة .

واذ يتأكد كولريدج من هذا السقوط في ظلام اليأس والتعاسة الشاملة ، نجده في الجزء السابع وقد انتفض في محاولة لاسترداد كل ما سلبته الاحزان والآلام والبلايا ، شاهرا سيفه في وجه الافكار السامة التي تحكم نسج حبالها الخانقة حول عنقه ، مصغيا للرياح التي ظلت تصخب طويلا دون أن يعيرها انتباهه. بهذا يحاول الشاعر أن ينتقل من عالمه الداخلي الى العالم

الخارجي الذي يرمز اليه بالرياح . لكنه سرعان ما يرتد ملتفتا الى القيثارة . قيثارة الريح ، ذات الشاعر . تلك التي طال عذابها وعلا صراخها بفعل الريح ، فيضن بها.. ويحرص عليها . ذلكم هو الصراع القاسي الذي عاشه الشاعر ، والذي ذكر في نهاية هذا الجزء بقصيدة « لوسي غراي » لصديقه الشاعر وردزورث عن الطفلة الصغيرة (لسي) التي ضلت طريق بيتها ، فجلست تئن حينا بصوت منخفض حزين مرير خائف ، وحينا تصرخ بصوت عال لعل أمها تسمعها فتخفّ الى نجدتها :

ابتعدي أيتها الافكار السامة التي تلتف حولعقلي.
يا حلم الواقع المظلم
اني أوليك ظهري ،
وأصغي للرياح التي طالعصفها، وغابعنها انتباهي
يا لها من صرخات شقاء يطيل أمدها العذاب
تلك التي يتعاقب صدورها من هذه القيثارة
أيتها الرياح التي تصخب في الخارج
لشد ما أعتقد ان أنسب آلات العزف التي تروقلك
هي الصخرة العارية
او البحيرة الجبلية الصغيرة
أو الشجرة المصعوقة
أو دغل الصنوبر الذي لم يصل اليه أحد الحطابين
أو البيت المنعزل الذي يعتقد الناس انه مسكون بالاشباح .
أيها العازف المجنون
يا من تقيم عيدا للشيطان في شهر المطر
شهر الحدائق المحملة بالثمر
والازهار التي تتفتح
ان احتفالك أبغض من الاغنية الشتائية
بين الزهور والبراعم والاوراق المتموجة
أيها الممثل ،
يا من أتقنت المشاهد المأسوية بأجمعها
أيها الشاعر الجسور ،
يا من بلغت شجاعته حد الجنون
سيرة من هذي التي تقصها الآن علينا ؟
انها عن الصخب الذي يصدر عن جيش يولي مندحرا
في دروب الهزيمة
بأنين الرجال المسحوقين تحت الاقدام
بجراحهم المؤلمة
انهم يئنون من الالم
في نفس اللحظة التي يرتعشون فيها من البرد
ولكن ... صه ...
هناك لحظة من أشد لحظات السكون عمقا
فكل تلك الضوضاء التي تشبه صوت الحشود المندفعة
بالانين والرعدات المرتجفة
تصل الآن الى نهايتها
انها تقص حكاية اخرى بأصوات أقل عمقا
وأقل ارتفاعا
حكاية أقل اثارة للمخاوف
يخفف السرور وقعها قليلا
مثل الاغنية الحنون التي كتبها « أوتواي »
عن الطفلة الصغيرة التي ضلت طريقها
ولم تكن على مبعدة من بيتها
عندما وجدت نفسها في منطقة مهجورة
فظلت تئن بصوت خائف خفيض حزين مرير حينا
وحينا ترفع صوتها بالصراخ
وكانها تأمل أن تسمع أمها صوتها المستغيثالباكي.

بذلك ننتقل للجزء الثامن والاخير من قصيدة كولريدج المقبضة عن الكآبة ، فنسمعه يناجي حبيبته سارا موجها لها حديثه الاخير ، داعيا لها بالفرح والسعادة ، وألا يعذبها السهاد بمثل ما يعذبه ، وان يعرف النوم الرقيق طريقه الى عينيها . وأن تتألق النجوم فوق مسكنها :

انه منتصف الليل
لكن ليست لديّ رغبة في النوم
ليحم الله صاحبتي من الاصابة بمثل هذا السهاد
ألا فلتزرها أيها النوم الرقيق بأجنحة الشفاء
وعسى ألا تكون هذه الزوبعة سوى مخاض جبل
ألا فلتتألق كل النجوم فوق مسكنها
وأن تظل ثابتة كأنها تراقب الارض النائمة
لعل حبيبتي تصحو من نومها
بقلب لا يضنيه النهار
وخيال مرح
وعيون ملؤها البشر والسرور
وليكن لروحها أجنحة من الفرح
ولينغم الفرح صوتها
ولتكن من فيض روحها الفياضة بالحياة
حياة كل الكائنات
من القطب الى القطب
أيتها الروح الرقيقة المتواضعة
يا من تهدي خطاك السماء
اني أدعو لك دائما
بالبهجة الغامرة
والسرور
والفرح المتكاثر
الى الابد .

(القاهرة)